

ثورات المسلمين العرب ضد الاستعمار في جنوب الهند

(١)

— بقلم دنس ووقر

محاضر في التاريخ الاسلامي بجامعة ملبورن استراليا

في الاسبوع الاخير من شهر اغسطس ١٩٢١ ثار المابليون العرب في اقليم
مالابار على اوضاعهم ،

فقلت صحيفه " التايمز اللندنيه " في افتتاحيه " لها معلقه " على هذه الثورة
(اغسطس ٢٩) ما نصه : " ما دامت جماعه " صغيره من شعب هم سريعو الثورة
تستمر ساكنه " بين هنداسه " اميل الى المسالمة " و يكون غلا واستياء على
صعوبات زراعيه " واقعا كانت أم وهما ، فلا بد من أن نسمع اخبارا عن اضطرابات
مابليه " من حين الى حين ، " من البين ان كاتب افتتاحيه " التايمز لم يجرب
شخصيا تلك الصعوبات الزراعيه " " التافهه " ، التي عسا المابليين " وهموها ،
و التي نزلت بشعب أبي قديم من ماض بذروة الازدهار والمجد والعظمة " الى
حاضر قاس هم فيه أقتان زراعيون مضطهدون منتظرين تنفيذ الخطط المرسومه "
لمحو معالم كيانهم و هويتهم . فيستمر كاتب افتتاحيه " التايمز بسأسه
الاستعماري الانيق ، عن هذا (العنصر الغريب الساكن في ركن شاسع بعيد
شبه قارة الهند) باستشفاف عدم تمثيلهم لواقع الهند العام : " يجب علينا
ان نفهم ان المابليين ليسوا بالعموم من أصل هندي . انهم ينحدرون من عرب

يحبون خوض المعارك استوطنوا بساحل مالابار منذ قرون ' رغم تزواج، كثير... "، ومع ان الوحوش المابليين The wild Moplahs لم يمثلوا جماهير الشعب الهندي لعلهم مثلوا خطرا كامنا في القومية الهنديه الناشئه التي هي بالاساس حلف حركة الخلفه الاسلاميه مع حركة المؤتمر القومي - الهندوسي - الذي قاده غاندى . فحاولت التايمز ان تفسر الثورة بتلك الطريقه و تدعو الى اجراءات " حاسمه" من قبل السلطات البريطانيه: "ثار المابليون في الماضى تعصبا غير مسؤول منهم، و كثيرا ما اثارتهم نزاعات عقاريه مع ملاكين عقاريين هندسه. اما الان فثاروا من تحريض المحرضين "الخلافيين"، الذين وجدوا جهلهم السريع الاشتعال يسير الاستغلال في سبيل اثاره اعمال العنف، اعترف ان منذ أشهر كان المبعوثون المسلمون من مناطق هنديه أخرى ينشرون دعايتهم التخريبية بين المابليين منذ شهرين اثنين جاءت الاخبار ان جماعات متطوعين مابليين يلبسون نوعا من البزة العسكريه... ان الامر الذي نحن له من المتوقعين هل حكومه الهند التي قد كانت يدها خفيفه جدا تستطيع الاستمرار في تغاضيها عن اعمال المحرضين الخلافيين التخريبية؟ ان رساله نطبعها اليوم تثبت ان دعايه خطيره مماثله تجرى في البنجاب و الاقاليم المتحده الهنديه الان، في حين تثير بلاغه السيد غاندى الروحيه - بانتظام - هيجانا على نطاق واسع . يفضى الى اساله الدماء . ان لسياسه التسامح الرسمي حدودها حتى في الهند، فيبدو أننا وصلنا الى هذا الحد... "

ان هذا الكلام - و هذا غنى عن القول - فارغ تماما ان " البيئات"، البريطانيه المثبتة لاصل "خلافى"، لثورة المابليين العرب ضئيله جدا بشكل

مربك ، و سما لا شك فيه ان البريطانيين - لو ظنوا بجد ان حركة " الخلافة " تريد تدبير ثورة في طول الهند و عرضها للاطاحة " بحكم الرجل الابيض الاستعماري - لتمعوها باسرع من لمح " البرق . و لكنهم لم يفعلوا شيئا من هذا - فكما اعلن سير وليام قنست في الجمعية " التشريعية " بمدينة " سيملا " بتاريخ سبتمبر ٦ ، ١٩٢١ : " ان سياسة " الحكومة " ازاء حركة " عدم التعاون و حركات الخلافة " لن تتأثر نتيجة " لنشوب انتفاضات تعصبية " في اى ركن من اركان البلاد " ، رغم ان الحكومة " ، لاحظت ، كما قال سير قنست ، " مظهرا سريبا من مظاهر التحريض الخلافي وهو محاولة " العبث بولاء الشرطة " و الجنود ، محاولة " فشلت من حسن الحظ (١) ان هذه الخطوة البسيطة " -- نشر الدعاية " المعادية " للاستعمار البريطاني بين صفوف الجنود المسلمين الذين في الجيش البريطاني - كانت الواحدة التى اتخذها حركة " الخلافة " ، التى تتشوق بشعارات الوحدة الاسلامية " العالمية " ، تضامنا مع المابليين المواجهين الابداء العنصرية " ! فامام هذه الحقائق يجب علينا ان ننظر في شعارات حركة " الخلافة " النارية " مرة أخرى . اننا نجد حكيم أجمل خان ، رئيس الحركة " مثلا يفيد المحتلين خيرا بان " آسيا الصغرى من جانب و الهند من الجانب الاخر ليسا إلا حلقتان بعيدتان من حلقات سلسلة " الاتحاد الاسلامى العالمى الذى سيحقق في المستقبل " ، و اضاف منددا : " المذابح الوحشية " ، البريطانية " كلاما لم يكن له ان ينقذ المجاهدين العرب المابليين شيئا في هذا التاريخ المتأخر ، و المذابح تكاد انتهى اجراءها و الشعب المابلى على وشك الانهزام بعد مقاومه " بطويله " طويله " وقفوا ابانها في وجه اكبر اسباطوريه " في العالم عندئذ ، فان أثبت بيان حكيم أجمل خان هذا ، المدلى به في ٢٨ سبتمبر ، شيئا ، هو ان حركة "

الخلافة" في التحليل النهائي ، رغم شعاراتها الطنانه" عن الوحدة الاسلاميه" العالمية" لم تكن على استعداد ان تخرج من اطار الاعمال السياسيه" الذى اقامه المحكم البريطانى ، لم تكن على استعداد ان تثور على نظام البؤس و الحرمان المفروض على جماهير الشعب الهندي لأنها كانت اسير القوميه" الهندوسيه" البور جوازيه" التى مثلها غاندى فلهذا السبب بقيت اعمال الحركة" داخل حدود النظام الهندي القائم على اللاعنف بخلاف كلماتها التى حلقت فوق طول العالم الاسلامى ، فلو سمعت خطابات الرنانه" ، تصورت ان حركة" الوحدة الاسلاميه" هذه حركة" ذات بأس جديرة بان تهز الدنيا . . و لكنهم هؤلاء الخلفيين لم يستطيعوا انقاذ المابليين الذين يبيدهم الانكليز فى بيوتهم بجوارهم فكيف ينقذون خلافة" المسلمين و الدوله" العثمانيه" ؟ فان بحثا علميا فى حركة" المابليين العرب لابد له ان يتخلص من الضباب الكثيف الذى اثاره الانكليز فرارا من الاسباب و الوقائع الحقيقه" فى مثل هذه الفقرة من التاييمز : " مع ان السياسيين يقدمون الحججه" ان بعضات ملكيه" الاراضى (Land tenure) هى المسؤوله" عن الانتفاضه" ، فكل الدلائل و البيئات تثبت ان هذه المشاكل انبثقت من تعصب و جنون دينيين اسلاميين أثارهما معرضو حركة" الخلافة" الخطباء" ، . (٢) ان هذا النوع من الاقوال ، المفعمه" بالتهجيز الاعمى و رفض النظر فى اوضاع المابليين و عواطفهم — كما عرفها ثقافات و سياسيون محليون هم يلمون باوضاع مسقط رأسهم علما — هو السبب الاساسى للغموض التاريخى و الاهمال الشائن الذين هما يحاصران هذه الثورة المهمه" الى يومنا هذا . فعلينا أن نتعرف نحن المسلمين سره اخرى على ثورة من ثورات العروبه" الخالده .

ان الاحوال التي عاشها هذا الشعب العربي في جنوب الهند هي تبين مغزى الثورة ، ان نظرنا فيها . ان الثورة المابليه كانت انتفاضة ثقافه منخنة على حكم أجنبي وبيئه معاديه قد أحاطابها و شرعا يخفقانها شيئا فشيئا انها مثلت تحدى اجتماعيا عميقا و حذريا لكل ما مثله المجتمع الهندي من ظلم و طبقات وراثيه ، و تمييز عنصري و طبقي شنيع . ان هذه الثورة تشبه تماما ثورة شريعه الله و دود هوسيان في بنغال ابتداء من العقد الثالث للقرن التاسع عشر- ان الابداء الاستعماريه لمواقع الطبقة الاسلاميه الحاكمه في بنغال و استئصال الثقافه الفارسيه الناتج عن هذه الغزوة الاستعماريه العسكريه و الاقتصاديه قد خلا المجال أمام قيام قوى اكثر جذريه من بين جماهير الشعب البنغالي ، بدون رادع من طبقه مسلمه نبيله تكون ” القيادة الرسميه “ للشعب . و ان النبد التام للثقافه الطبقيه الايرانيه التقليديه الذي امتاز به قادة الحركه الفرائضيه اخذ تعبير عوده الى الاسلام الاصيل ، كما رآه حركه الوهابيين العرب في جزيرة العرب . فكان كل قواد الفرائضيه نصف عرب ثقافيا عرفوا بمعهد العرب جيدا و أجبروا أتباعهم على أكل الجراد - اكل يستحبه العرب و يكرهه الهنادسه - رسزا لانفصالهم من العالم الهندوسى الذى قد انغمس فيه الاسلام في شكله الشعبى في البنغال . ان حركه الفرائضيه عبات الطاقات الثوريه للاسلام الذى اعتنقه في الهند المستضعفون في الارض من المنبوذين و الطبقات السفلى و الذين عرفوا التمييز العنصرى و الاستغلال الطبقي في مجتمع الهندوسيه فارادوا النجاة منها . ان الحركه وجدت الملاكين العقاريين المسلمين الباقين في البنغال يلجأون الى الانكليز و يعملون مع الملاكين العقاريين الهنادسه الذين خلقهم الاستعمار، في ميبيل قمع

انتفاضيه" جماهير الفلاحين المسلمين ، كانت دوافع الحركة " المابليه " جد مماثله . ان الفتح البريطاني ، كما في البنغال ، أفقر و خرب المسلمين اقتصاديا عن عمد مسبق و أخضع الجماهير المسلمة في نفس الوقت لطبقه " ناشئه " من الملاكين العقاريين الهندوس الذين أخفض لهم جناحه . و كان الاسلام يكسب دائما اتباعا جددا من المنبوذين و الفلاحين الفقراء الهنادسه الذين دخلوا في دين الله افواجا في جنوب الهند مما رسم خطوط الكراهيه " الطبقيه " اكثر حدة بين الحاليتين الاثنتين ، التين هما ينتميان ايضا الى دينين و ثقافتين لا توفيق بينها . فكانت المنطقه " دائما تشهد ثورات فلاحيه " اسلاميه " عنيفه " على المستغلين الهندوسيين المحميين من قبل الادارة الاستعماريه " البريطانيه " فتقول دائرة معارف الاسلام : " قد نشبت ابان القرن الماضي ما يعادل ١٥ انتفاضة " تعصبية " ضد الهنود بين المابليين ، بالخصوص في ارناض بمقاطعه " مالابار . ان بعض المابليين يبدأون على العموم بقتل ملاك عقارى هندي ، و بعد هذا الاعدام ، يطلبون الاستشهاد قاتلين الكفار ، فينضم آخرون في صفوفهم بعد تطبيق زوجاتهم ، فيخرون لابسين ثوب الشهادة الفضفاض ليستشهدوا مقاتلين الكفار ، وهم لا يشعرون بشئ ازاء الموت الا الاحتقار المطلق . انهم ينتهكون حرمة " الهياكل الهنديه " و يحرقونها و يختنون اجبارا اولئك الهنادسه الذين لا يقتلونهم . و كأن بعض هذه الانتفاضات حركها استياء الفلاحين المسلمين ضد ظلم الملاكين العقاريين الهنادسه " ، ولكن المقالة " تضيف (غير أن الانتفاضة الاخيرة (سنه ١٩٢١) كانت ذات طابع سياسى بحت ، فأثارها حركة " الخلافة " ، انها اختلفت من كل التي سبقتها من ناحية " واسع نطاقها و الدلائل الواضحة " على تنظيمها و استعدادها المخطط ، ان الفضائح التي جاءت بها ضد

الهنداسه" تشير الغثيان بشكل خاص (٣) كائى أرى الباحثين الغربيين النصارى يشغلهم "الغثيان"، - و لو كان الغثيان مبررا من "فضائع"، المابليين عن دوافع المابليين أنفسهم و الظلم و القهر الذين عانوهما هم كمسلمين فى مجتمع من أظلم ما خلق الله من انظمه" انسانيه". ان انتفاضات فلاحيه"، او انتفاضات عبيد ليست جميله" ابدأ فاعتقد أن مواقف كمثل موقف هذه المقاله" تهمل مرجع هذه الوحشيه" - و فى هذا المثل المذكور بالفوق - تؤدى الى رؤيه" "اختلافات"، حيث هى معدومه" و تجنب درس علمى بدعوى بعض العوائل أو الوقائع التى فى تعيين مغزاها قد وقع اختلاف كثير. فجوده التخطيط العسكرى مثلا الذى استاز به الثوار، و الذى رآها البريطانيون كدليل آخر على يد خلافي... كتب مراسل التايمز من بومباى انها "طبيعيه" تماما قتمائل تمالك قبائل حدود الهند الشرقيه" الشماليه" انفسهم أمام النيران و قيادتهم الجنود"، (٤) كما دلت قطاعه" اليوم التالى فى التايمز على الدور البارز الذى لعبه جنود متقاعدون فى صفوف الثوار العرب المابليين .

ان كل الثقافات و الملمين بشؤون مالابار اعترفوا بشناعه" الاستغلال الذى عاناه الشعب العربى المابلى من قبل ملاكين عقارين هنود لجأوا الى كل الوسائل الممكن اتخاذها لاجل اعتصار الاموال منهم، هذا الاستغلال الذى تصور من وطأته الجائعون حتى أغمى عليهم . ان الشعب البنغالى فى اكثف ايامه سوادا، بعد الهدم التام لقياداته الثقيليه"، فى شبه عزله" من الوطن العربى و رغم ظروف قاسيه" و مواصلات بدائيه" و الشعب منغمسون فى الجهل و جاهليه" ثانيه"، استطاعوا قلب احوالهم رأسا على عقب و ارساخ وعى اسلامى اسمى فى عقول الجماهير المؤسسه" الغفيرة، بخلق اطار حضارى عروبى جديد

قضى على العقليه" الرائجه" فى بنغال آنذاك و التى خليط من عناصر متناقضه" للحضارتين المغوليه" الايرانيه" و الهندوسيه" الشعبيه". لم يحتج البناغله" فى ذلك العهد الى اللاعنقيين الخلفيين البور جوازين و لم يحتج المابليون العرب، كذلك، الى "محرضى"، هذه الحركه" من بعد سائه" سنين!! كفاهم الاسلام ذخيره من الهدايه" و كفاهم تجربه" تاريخهم العربى القومى استراتيجيات لكى يخوضوا هذه الثوره المسلحه". ان حقائق صغيره كثيره تثبت الطابع الجماهيرى، الجذرى اجتماعيا، الذى لهذه الثوره المابليه" رغم اغفال المؤلفين الاجانب أهم البيئات و الدلائل! ان المابليين مثلا احرقوا كل السجلات المتناوله" الممتلكات العقاريه" التى هى الاساس القانونى للاوضاع الاجتماعيه" القائمه" فى الريف المالابارى... فقال مؤلف بريطانى "ان تدمير هذه السجلات و الوثائق ستؤثر فى مصير الهنداسه" المساكين الذين سيصعب عليهم الان اثبات صحه" ادعاءاتهم لممتلكات و أراض هى لهم، و ان هذه امكانيه" اتخذها المابليون بعين الاعتبار بدون ادنى شك، (٥) و ان الفطائع التى اقترفها الثوار كان بعضها مسدده الى نظام اجتماعى تجرع القائمون بالثوره من قبل سراره منه و سهانه" و استغلالا نزل بهم الى مستوى البهائم تتضور منه النساء و الاطفال حتى يغمى عليهم جوعا. ان كثيرين من الذين انضموا بين "العرب"، فى مالابار كانوا من الملاعين و المنبوذين و المحقرين فى المجتمع الهندى، فاعتنقوا الاسلام لانهم آنسوا فيه احاء و مساواة فى توحيد الله فقفزوا فى دقيقه" من الموقع الاسفل الى الذروة فى اوضاع مالابار. و لكن المستعمرين البريطانيين فتحوا مالابار. و اضطهدوا الشعب العربى هناك، محاولين محو ثقافتهم و لغتهم، و اقامه" طبقه" جديدة

من الملاكين العقاريين الهناده عليهم مرة أخرى مما جعل المسلمين
 مستضعفين في الارض بضرب عليهم المسكنة و الحرمان فيجدون أنفسهم
 باسفل المجتمع الهندي . و رغم هذا استمر الاسلام يكسب اتباعا جددا من
 فقراء القوم و الفلاحين المعوزين في كل العهد البريطاني ، و رغم خسر اكثر
 المابليين لغتهم العربية الاصلية ، و رغم سياسة الاقنار و التجهيل الرسميين
 انهم احتفظوا بشعورهم العربي العميق ، بواسطة أغانيهم النشيديه
 الشعبية باللغة المالايالاسيه الداعيه الى الكفاح و الجهاد ضد الاستعمار
 و عملائه الهناده . فكان من الواضح ان ارتباط هذه القوميه العربيه المتغربه
 بجماهير مستأئين من فلاحين قد طال عليهم الظلم لابدله ان يخلق وضعاً
 مخطراً جداً . ان ثورات عبيد أو أقتان ايست أبدا جميله ان المجتمع الهندوسي
 في مالابار كان مجتمعاً غير عادل وجد قوى انفجاره تعبيرها الصادق في ثورة
 الفلاحين المسلمين " العرب " ، فان أعمال اغتصاب نساء طبقه النايار Nayers
 الهندوسيه الحاكمه ، مثلاً ، من جانب الثوار تبدو كأنها اهانه مسدده الى
 نظام الطبقات الوراثيه المتخذ ارمز منع التزاوج كرمز لظلمه اكثر منها تهيج
 لا دافع وراءه الا الشهوانيه . ان ثار الجماهير العربيه ، من حفر مقابر
 جماعيه للذين عادوا الثورة مثلاً شئ رهيب و لكن نظام الطبقات الوراثيه
 الهندوسيه كذلك انكار شنيع لآخوة الانسان و كان العرب و الجماهير الكادحه
 الداخلة في صفوفهم قد عقدوا العزم ، وهم يعون تاريخاً مجيداً ، الا تفرض
 عليهم مرة اخرى تلك العبوديه فأصاب " الكفار " عقاب بما قدست ايديهم .
 فلنر الان على أى مستوى كانت تخاطيط الثوار ، و ما كانت اهدافهم ، و اى
 نوع من حرب شعبيه هذه ، و ما كانت نتائجها الاخيره كتجربه رائديه رسم

طريقا امام كل من الشعب الهندوسى والشعب الاسلامى فى شبه قارة الهند
باكستان .

يقتطف ر. س . مجامدار آراء التقرير الانكليزى الرسمى فى نشوب الثورة (٦)
ورد افعال الهنادسه" أحاول جمعها الان باقتطاف اقوال التايمز لكى نرى
صورة متحركة" للثورة "مرحلة" مرحلة" فنستنبط الدوافع العارفة للقائمين بها. ولو
انتصر الثوار العرب و كتبوا هم كتب التاريخ و الابحاث الاكاديمية" أمكنهم
تقديم تفسير ان يختلف من الذى رائج .

من التقرير "ابان الاشهر الاولى فى ١٩٢١ شاعت حالة" من الثائرة
الشعبية" من مسجد الى مسجد و قرية الى قرية [فى المناطق العربية"] بسرعته"
هائلة" . . . صنعت سيوف و خناجر و فؤوس سرا و تجمعت عصابات من
المتهورين و اتخذت الاستعدادات لاعلان محي' دولة" الاسلام . و فى اليوم
العشرين من اغسطس اذ حاول ماسور مقاطعه" كليكوت بمساعدة جنود و شرطه" ،
القبض على قواد معينين يملكون اسلحه" بتيرورانغادى Tirurangadi [مدينة"
صغيرة على السكه" الحديدية" المتجهه" الى كالكوت] نشبت اشتباكات عنيفه"
أصبحت اشارة لثورة فوريه" فى المنطقه" كلها . سدت الطرق ، قطعت اسلاك
التلغراف ، و دسرت السكه" الحديدية" فى عدد من الاماكن . فان ماسور
المقاطعه" عاد الى كالكوت منعا منه لانتشار الاضطرابات فى البلاد شمالا ،
فقللت و قلصت أجهزة الحكومه" و حوصرت ضمن بعض المكاتب المنعزله" و
مراكز الشرطه" التى هاجمها الثوار مهاجمه" منظمه" . أما الاوربيين الذين لم
ينجحوا فى النجاة منهم — و من حسن الحظ قتلوا عددا — فذبجوا ببربريه"
وحشيه" . حالما اصبحت الادارة مشلوله" فاعلن المابليون اقامه" السواراج

[أى الاستقلال] و أعلنوا أن رجلا سمي على موسى ليار هو راجا ، و رفعوا اعلام
 الحركة الخلفية ، ثم أعلنوا ارناض و ولوواند "Walluvanad" كدولتين
 خلفيتين . . . " (يتبع)

المراجع

- (١) The London Times 7-9-1921
- (٢) The London Times 2-9-1921
- (٣) دائرة معارف الاسلام ليدن حرف م - ص ٢٦١
- (٤) The London Times 2 Sept. 1921
- (٥) The London Times 30-11-1921
- (٦) R. C. Mujamdar "History of the Freedom Movement in India
 Calcutta 1963 Page 190